السير الفريد ملنر وسياسته في جنوب افريقيا (١٨٩٧-١٩٠٥)
دراسة تاريخية

د. عباس غلام حسين

الملخص :

يعد اللورد ملنر واحد من أبرز الشخصيات البريطانية التي لعبت دوراً بارزاً في خدمة مصالح بلده خلال سنوات عمله في جنوب افريقيا . إذ تركز نشاطه في مستعمرة الكاب البريطانية وتدعيم النفوذ البريطاني وبسط سيادته بشكل صارم، فضلاً عن ضم جمهوريتا الترانسفال والاورانج الحرة ذو الغالبية الهولندية اللتان شكلتا حكومتان خارج سلطة الحكومة البريطانية.

قسمت الدراسة الى توطئة وثلاث مباحث رئيسية ، تناول الأول المختصر في سيرة الفريد ملنر الذاتية ونشأته الاجتماعية واهتماماته السياسية منذ ولادته حتى تسلمه مهام عمله من قبل وزارة شؤون المستعمرات البريطانية . فيما ركز ثانيها على سياسته في جنوب افريقيا للمدة بين (١٨٩٧–١٩٠٢) ، أي حتى انتهاء حرب البوير . فيما عكف ثالثها للتخصيص حول سياسته في المستعمرتين بعد ضمهما للتاج البريطاني للمدة بين (١٩٠٢–١٩٠٥). وانتهت الدراسة الى خاتمة ضمنها الباحث جملة من الاستنتاجات الهامة التي شكلت بدورها لبنات تأسيس المرحلة اللاحقة من التطورات قادت بالنتيجة الى حكم الاغلبية السوداء.

Abstract

Lord Alfred Milner and his Polices in South Africa 1897-1905

Lord Milner is regarded as one of the figures who played a role in the service of his country during his office in South Africa. His activity was focused on the support of the British interests rigidly in the British Colony in addition to the republic of Transvaal and Free Orange state with Dutch majority who formed government outside the British government

The research was divided into a Preface and Concluions; the first tackled the political and social of Alfred Milner from birth until his assuming of office by the Ministry of Colonies. The second inquiry tackled his policy in South Africa for the period from (1877-1902), i.e. until the end of the Boer War. The second point shed the light on his policy Transvaal and Orange River after annexing them to the British crown for the period (1902-1905).

المبحث الاول

سيرته ونشأته الاجتماعية واهتماماته السياسية :

توطئة :

تعد دراسة الشخصيات من أبرز ميادين البحث العلمي في التاريخ الحديث والمعاصر ، لاسيما اذا كان لهذه الشخصية دور بارز ومحوري في صناعة الحدث التاريخي . ففي الوقت الذي شهدت فيه جنوب افريقيا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر نشاطاً استعمارياً كثيفاً بين الدول الاوروبية للحصول على المستعمرات فيما وراء البحار[١]، واوفدت بريطانيا السير (الفريد ملنر Alfred Milner ١٨٩٧-١٩٠٥) مندوباً سامياً ، وحاكماً على مستعمرة الكاب البريطانية، خلفاً للسير (هركوليز روبنسون Hercules Robinson ١٨٩٥-١٨٩٧).

ولد الفريد ملنر في الثالث والعشرون من اذار عام ١٨٥٤ ، وعمل في سلك المحاماة والصحافة[٢]. بدأ عمله السياسي سكرتيراً شخصياً لـ(جورج جواشيم جوشن George Joachim Gochen) وزير المالية في حكومة (روبرت سيسل سالزبري ١٨٨٦-١٨٩٢)المحافظة الثانية، عام ١٨٨٧ ، وتسلم منصب وكيل وزير المالية المصرية للمدة بين (١٨٨٩-١٨٩٢) مع (اللورد كرومر Lord Cromer) [٣] . الف كتاب " انكلترا في مصر "، غير انه عُين في الخامس من ايار ١٨٩٧ مندوباً سامياً لجنوب افريقيا [٤]، وحاكماً على مستعمرة الكاب[٥].

عُرِفَ السير ملنر برجل المهام الصعبة ، فقد امتاز بالصراحة لدرجة الوقاحة أحياناً ، وتحلى بالصدق والخبرة الواسعة في مجال الإدارة، ومن القلائل الذين أطلق عليهم لفظة (بُناة الإمبراطورية) ، فيما عده (البوير Boears) [٦] عميلاً لـ(جوزيف شامبرلن Joseph chamberlain 1895-1902)[٧]وزير شؤون المستعمرات البريطاني في حكومة سالزبري الثالثة ليبحث له عن حرب تبرر فرض سيادة ودعم العنصر البريطاني في جنوب أفريقيا، وقيادة الحضارة الغربية ، وتمدين الشعوب المتخلفة . كما وصف ملنر أيضاً بـ (الجندي المدني في الامبراطورية البريطانية)[٨].

المبحث الثاني

سياسة ملنر في جنوب أفريقيا (١٨٩٧-١٩٠٢)

أ- اشغاله المنصب :

عمل السير مِلنر على دعم منصب المندوب السامي لما اظفى عليه من صبغة عسكرية ، ففضلا عن حزمه وتشدده تكونت عنه الفكرة المعروفة في عدم ميله للحوار الدبلوماسي كثيراً رغم انتمائه لحزب الأحرار البريطاني ، وعلى عاتق هذا الرجل ألقت الحكومة البريطانية مهمة حل مشكلات جنوب أفريقيا التي عجز عن حلها من سبقوه الى المنصب [٩] .

أتسمت سياسة الحكومة البريطانية في جنوب افريقيا في ظل إدارة اللورد مِلنر بالشدة والقوة ، إذ تلقى الأخير أمراً صريحاً بالتصدي لمحاولات التدخل الأجنبي ، لاسيما التدخل الألماني[١٠] ، فضلاً عن ردع البوير في جمهوريتي جنوب أفريقيا والاروانج الحرة ، فقد جاءَ الاخير حاملاً السيف البريطاني ، واحدث انقلاباً في اغلب اساليب المعالجة للخلاف القومي بين البريطانيين و البوير(الأفريكانر) [١١] املاً في حل مشكلات جنوب افريقيا التي تفاقمت في الربع الاخير من القرن التاسع عشر[١٢] ، اذ حذر قبيل مجيئهِ بأن مشاكل جنوب افريقيا لن تحل ما لم تتخذ حكومة جمهورية جنوب افريقيا (الترانسفال) اجراءات الاصلاح الحقيقية التي تحقق المساواة بين رعاياها البيض على ارضها . وكانت سياسية مِلنر في التعاون مع وزير شؤون المستعمرات بنيت على اساس ارغام الترانسفال على الظهور بمظهر المعتدي للحفاظ على ولاء البوير لبريطانيا في مستعمرة الكاب ، وعدم انصياعهم لبني جلدتهم في الترانسفال ، وعلى هذا الاساس رتب مِلنر كل هذه الامور ، لإقناع الرأي العام البريطاني بقبول احدى السياستين ، اما الاصلاح او الحرب ، سيما وان البوير لم يغب عن اذهانهم تبعات غارة جيمسون[١٣] التي خطط لها (سيسل جون رودس Cecil John Rhodes)[١٤] الثري البريطاني ، وبدعم من قبل جوزيف تشامبرلن وزير شؤون

المستعمرات البريطاني التي تقوم على اساس تحريض المهاجرين البريطانيين المقيمين في مدن الترانسفال في فوضى عارمة ، مما وسع الهوة بين البريطانيين والبويريين[١٥].

دأب ملنر على افتعال ازمة مع (بوليوز كروكر Paulus Kruger)[١٦] الرئيس الترانسفالي لتكون مبرراً لأستخدام القوة في ازالة حكمهِ ، الا ان تشامبرلن وزير شؤون المستعمرات ، بين ان الموقف في المستعمرة معقد للغاية ، ولا يسمح لبريطانيا ان تظهر بمظهر المعتدي خشية خسارتها لتعاطف الطرف البويري ، موكداً ان الترقب وأستمرار الضغط هما كفيلان بأزدياد اخطاء حكومة كروكر وارتباكها[١٧] ، سيما بعد ان اتضح تعاطف اغلب البويريين في كل جنوب افريقيا مع الجمهوريتين ، الذين دعوا لقيام اتحاد جمهوري يجمع فيه البويريين تحت راية كروكر ، اذ عدوا أنفسهم سكان جنوب افريقيا ، وان البريطانيين غرباء فيها[١٨] .

ومع تفاقم الخلاف بين الادارة البريطانية في جنوب افريقيا وجمهوريتي البوير ، ارتأى السير ملنر في الاول من تشرين الثاني ١٨٩٨ الذهاب في زيارة مهمة الى لندن لتعزيز القدرات العسكرية وتقويتها لخوض الصراع واطلاع الحكومة البريطانية بآخر المستجدات ، بحجة حماية المصالح والرعايا البريطانيين في الترانسفال ، وارغام الاخيرة على تبني دستور اقل عنصرية تجاه رعاياها حسب زعمه [١٩].

كان المتتبع لحالة جنوب افريقيا واتجاهاتها وتياراتها السياسية والحزبية ، يجد انه تعبير عن صراع بين اتجاهين لا ثالث لهما . الاول عنصري ، والثاني اقتصادي، أي بمعنى اصح ان الصراع بين الافريكانر والبريطانيين هو صراع بين مجتمع زراعي لا يأبى التمدن والحضارة ، وبين اخر صناعي وتجاري مؤسس له [٢٠] .

على نحو عام بقيت الرابطة الافريكانرية[٢١] متمسكة بدفة الحياة السياسية في اكبر مستعمرة بريطانية في جنوب افريقيا تواجد فيه البوير ، بالرغم من ظهور احزاب وجمعيات بريطانية مثل عصبة جنوب افريقيا[٢٢] البريطانية ، التي دعت الى التصدي للرابطة الافريكانرية وكروكر ، بعد تلقيها دعم من الرأسماليين البريطانين العاملين في المناجم في اتجاه تأييد مصالح البريطانيون ، فضلاً عن تأسيس ما عرف

بائتلاف المجموعة التقدمية[٢٣] التي تزعمها البريطانيون ذات التوجه العنصري لبني جلدتهم ، وتبنت تلك المجموعة برنامجاً ليبراليا هدف الى اعادة توزيع مقاعد الجمعية التشريعية في الكاب ، وانتهاج سياسة وطنية اهمها الغاء الضرائب على المواد الغذائية . لذلك ففي الوقت الذي عمل فيه ملنر على زعزعة قوة الرابطة الافريكانرية ووحدتها ، أثبتت تلك الرابطة انها تمسك بدفة الحياة السياسية دون الحاجة الى تأييد عديد من الاتجاهات والجماعات داخل برلمان الكاب ، على عكس العنصر البريطاني الذي ظل مقسماً الى جماعات واتجاهات واحزاب متنافرة ، اخفق في الوقوف بوجه العنصر الهولندي[٢٤]، اذ لم يجد سوى الوقوف الى جانب ملنر ممثل بريطانيا القوي في حملته ضد العنصر الهولندي في جنوب افريقيا[٢٥].

وفي اجتماع عقدته الرابطة الافريكانرية في اذار من عام ١٨٩٨ في كراف رينيت للترحيب بزيارة السيد الفريد ملنر ، انه سمع في احدى الخطب السياسية التي تليت عبارات تلمح الى الترابط مع بني العمومة في المستعمرة وجمهوريتي الترانسفال والاورانج الحرة ، فيما لو تعرضوا للضغط الخارجي(أي البريطاني) ، اذ شكلت تلك الخطب بداية منعطف جديد في الصراع بين بريطانيا والبوير ، لطالما بحث ملنر عنها ، وعلى هذا الاساس وجه حديثاً قوياً ركز فيه على ولاء البوير وقال (انه لايشك في هذا الولاء) ، ودعا البوير الى اقناع الترانسفال أن بريطانيا لا تهدد استقلالها ، بل ان هذا التهديد نابع من سياستها الداخلية، وان عليها ترتيب بيتها لصالح ما اسماه جنوب افريقيا وخيرها[٢٦]، محذراً في الوقت نفسه بعدم تخلي بريطانيا عن مركزها الممتاز الذي شغلتهُ في جنوب افريقيا خوفاً من جمهورية مسلحة وبعض المتعاطفين معها في مستعمرة الكاب[٢٧] .

اعقب السير ملنر حديثه الاخير عن الترانسفال بتوجيه دعوة الى بول كروكر رئيس جمهورية جنوب افريقيا زيارة لندن لبحث قضية الاجانب ، إلا ان الاخير رفض ذلك عادا اياها بادرة تدخل في الشأن الداخلي لجمهوريته ، الامر الذي زاد في استياء السير ملنر ، وتسريعه الخطى في اتجاه حسم صراعه مع كروكر ، فضلاً عن ذلك

اقناعه قادة الرابطة الافريكانرية بمحاولة السير ملنر جمع كافة الاحزاب والتجمعات البريطانية تحت لوائه[٢٨]، من جانبها ارتأت الرابطة ان تنصح اصدقائها من قادة الترانسفال بتحقيق جملة اصلاحات لحفظ استقلالها ، وكف ضغط بريطانيا عليها ، واستجابة لبعض الضغوط اقدم بول كروكر على جملة من الاصلاحات طرأت على حكومته ، تمثلت بتخليه عن معظم موظفيه الهولنديين البارزين الذين جاء بهم من هولندا خلال جولته السابقة في أوروبا ، وتقريب مثقفي الرابطة الافريكانرية وبعض شخصياتها البارزة الى حكومته ، واسدى لهم بعض المناصب لكسب ولائهم وتأثيرهم في مستعمرة الكاب لصالح جمهوريته [٢٩].

على نحو عام ترأس (وليم فيليب شرينر William Philip schreiner) الوزارة في مستعمرة الكاب للمدة من ١٨٩٨-١٩٠٠ وعد أبرز الشخصيات البريطانية المعتدلة التي لعبت دوراً هاماً في الوساطة بين ملنر وكروكر ، لكن السؤال هو، ماذا انتفع ملنر من اختيار شرينر بتشكيل الوزارة ؟. لقد كان اختيار شرينر بالنسبة للسير ملنر، الضامن حيادها في الصراع بين بريطانيا والترانسفال من جهة ، ولكي يكف البريطانيون في اتهام هوفماير[٣٠] زعيم الرابطة الافريكانرية من جهة اخرى ، إذ لعبت وزارة شرينر دوراً هاماً في الوساطة بين طرفي الصراع دون ان تميل الى أي جهة وان كان أغلب وزرائها من الرابطة الافريكانرية[٣١].

ب- سياسته حتى حرب البوير ١٩٠٢ :

دعا السير ملنر الحكومة البريطانية في لندن بوضع سيادتها في جنوب افريقيا موضع التنفيذ ، وحث عصبة جنوب افريقيا ذات الاغلبية البريطانية الى الاستمرار في مطالبة الحكومة البريطانية في تعديل مسار حكومة الترانسفال وانهاء النعرة الوطنية التي امتلكت البوير منذ هزيمة (ماجوبا)[٣٢] في السابع والعشرين من شباط عام ١٨٨١ التي كرست للتجزئة حسب قوله[٣٣].

اقتربت مشاعر البوير في مستعمرة الكاب تدريجياً من مشاعر بني جلدتهم في الترانسفال ، حيث دعوا لقيام اتحاد جمهوري بعيدا عن السيادة البريطانية يرئسها بول

كروكر ، سيما وقد عدوا انفسهم اصحاب الارض الحقيقيين ، وان البريطانيين غرباء فيها في جنوب افريقيا ، مما يعطي مبرراً للاخير لاستخدام القوة في ازالة حكمه ، إلا ان تشامبرلن وزير شؤون المستعمرات في حكومة سالزبري الثالثة المحافظة حذر السير ملنر من تعقيد الموقف ، ونصحه بكسب ود البوير في المستعمرة والانتظار والترقب وعدم التعجل في اتخاذ أي قرار ، سيما وان أحداث غارة جيمسون سيئة الصيت التي حصلت في الأمس القريب التي ادى الى تفاقم الخلافات بين الجانبين وحالة من عدم الثقة ، فضلاً عن متغيرات الموقف الدولي التي لم تتضح معالمها في ظل الموقف الالماني الداعم للترانسفال [٣٤].

في أثر زيارة قام بها السير ملنر الى لندن لاطلاع المسؤولين فيها عن أخر المستجدات والاحداث في جنوب افريقيا ، قام السير وليم بتلر قائد الحامية البريطانية المرابطة في جنوب افريقيا بمهام المندوب السامي لحين عودته ، وكان الاخير معارضاً لفكرة الحرب والصراع الدموي بين البريطانيا والبوير ، موجها اتهامه لأصحاب شركات التعدين في الترانسفال بتصعيد الأمور نحو الحرب . وانطلاقاً من هذا الموقف دعا السير بتلر حكومة ترانسفال الى ابداء بعض المرونة واقتصار الاحتكارات على شركات التعدين الاجنبية التي تعمل على اراضيها ، ومسائل الحقوق السياسية للبريطانيين والاجانب في الترانسفال ، الا ان مفاوضات شركات التعدين مع الاخيرة لم تلقى تجاوباً في المسائل المختلف عليها مع الحكومة البريطانية رغم قبول الجانب الترانسفالي حل المشاكل العالقة بين الطرفين احراجاً لملنر من جهة ، وبسبب متغيرات الموقف الدولي في اشارة الى عدم وضوح الموقف الالماني من جهة أخرى[٣٤]، الا انه وبعد عودته رفض السير ملنر كل مبادرات قائده بهذا الشأن، وارسل برقية تلغرافية طالب فيها الحكومة البريطانية التدخل العاجل للكف عن معاملة رعاياها في الترانسفال معاملة اقنان وفقا لما زعم به[٣٥].

أزاء هذه الاحداث حذر القادة البوير في مستعمرة الكاب الرئيس كروكر من خطورة المواجهة العسكرية مع بريطانيا والقضاء على استقلال الجمهوريتين من اجل

تحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية وتوحيد جنوب افريقيا التي فشلت من قبل في توحيدها بكل السبل السلمية، ومن جانبه دعا السيد ستاين رئيس حكومة جمهورية الاورانج الحرة كلاً من الرئيس كروكر والسير ملنر لزيارة بلومفنتين العاصمة ، وعقد مؤتمر تفاوضي لحل المسائل الخلافية[٣٦]. إلا ان السير ملنر وصف تلك الدعوة بالخدعة لكسب الوقت ، فزاد من حملته الاعلامية ضد كروكر والرابطة الافريكانرية في الكاب وعدها امتداد لسياسة كروكر[٣٧]، ورغم ذلك وافق ملنر على عقد المؤتمر شريطة ان يخلو من أي وسيط بمن فيهم الرئيس ستاين الذي عقد المؤتمر تحت رعايته وفي بلاده لكي لا يكون له دوراً ضاغطاً لصالح كروكر[٣٨].

على أية حال عقد مؤتمر بلومفنتين للمدة ما بين شهري ايلول- حزيران ١٨٩٩ وسط اصرار الرئيس كروكر في المحافظة على الحقوق السياسية للبلاد ومنح البريطانيين العاملين في مناجم الذهب الحقوق الانتخابية والسياسية ، الا انه اقترح منحهم تلك الحقوق في غضون سبع سنوات وليس بصورة فورية كماهو موضع خلاف مع الجانب البريطاني المفاوض ، والذي طالب بمنح حق الانتخاب لمن عاش من الوافدين في الجمهورية مدة خمس سنوات ، لذا اخفق المؤتمر في تحقيق الغرض الذي من اجله انعقد[٣٩].

جراء الصلابة في الموقف الذي ابداه كل منهما كان لفشل المؤتمر نتائج خطيرة على السلام بين الجمهوريات البيضاء في جنوب افريقيا ، فقد التف جميع البريطانيون في مستعمرتي الناتال والكاب حول ملنر ، وباتت الحكومة البريطانية مضطرة الى مواجهة الترانسفال معلنة تأييدها له[٤٠]. برغم محاولات البوير في مستعمرة الكاب وجمهورية الاورانج الحرة الحفاظ على السلام وبذل الجهود لاحتواء الازمة بين الجانبين ، إذ ارسل الرئيس ستاين وزيره (ابراهام فيشر Abraham Fischer) الى كيب تاون عاصمة الكاب للاجتماع مع حكومتها لتقريب وجهات النظر ، ومن ثم خرج وفد الى بريتوريا عاصمة الترانسفال لقبول مقترحات الحكومة البريطانية دون جدوى[٤١]. لترتفع اصوات الحكومة البريطانية ضد قانون الانتخابات

الذي قدمته حكومة كروكر ، وعدته غير مرضي اطلاقا[٤٢]. وفي السياق نفسه خففت الترانسفال من تشددها وتفاوضت مع كبار الرأسماليين الاجانب في مناجم الذهب إلا انهم رفضوا ورفعوا من سقف مطالبهم ، لتصل الامور نحو الحرب كونهم المنتفع الوحيد منها ، ولم تجد المفاوضات والمذكرات المتبادلة حول المسائل الخلافية نفعاً على الرغم من دخول كل من هولندا والمانيا على خط الوساطة لدى بريطانيا ، فضلاً عن ضغوط حكومة شرينر والرئيس ستاين على الترانسفال[٤٣].

من جانب أخر حاولت الرابطة الافريكانرية وقف السباق للحرب بأي شكل من الاشكال ، وفي هذا الوقت سقطت وزارة (بنن Binn) الناتالية وحلت محلها وزارة الكولونيل (هيم Hime) الذي ايد الرابطة ، ودعا جميع الاطراف الى تحكيم العقل واللجوء الى الصبر وضبط النفس ، إلا ان السير ملنر استخدم ما يلزم من ضغط لكبح رئيس الوزراء الجديد ، حتى لا يفسد اللعبة على حد تعبير جوزيف تشامبرلن وزير شؤون المستعمرات في الحكومة البريطانية [٤٤].

على الرغم من اللقاءات بين الجانبين بوساطة عدد من المسؤولين في كل من الرابطة الافريكانرية في الكاب وجمهورية الاورانج ، فانه يمكن القول انما هذه المماطلات يراد منها استغلال الوقت لعدم استعداد الجانبين للحرب بشكل نهائي ، سيما وان الامور اخذت تسير بوتيرة سريعة بعد فشل كل الجهود وصار المندوب السامي ملنر اكثر تصميماً على الحرب ، وانهاء هيمنة الافريكانر ، واهتم الطرفان بتحييد الافارقة ومنع مشاركتهم[٤٥].

في التاسع من تشرين الاول ١٨٩٩ وجهت جمهوريتا كلاً من الترانسفال والاورانج الحرة معاً بعد ان وقعتا اتفاقية الدفاع المشترك في وقت سابق انذار الى الحكومة البريطانية لتحريك قواتها المرابطة على الحدود في غضون ثمانية وأربعين ساعة وطرح القضايا للتحكيم، وفي حال عدم الرد سيكون بمثابة اعلان حرب[٤٦].

في الحادي عشر من تشرين الاول ١٨٩٩ نشبت الحرب الثانية بين الطرفين أدت الى سقوط الجمهورية (جنوب افريقيا) في حرب ضروس عرفت بأسم حرب

جنوب افريقيا ، فيما اسماها البوير حرب الاستقلال الثانية على غرار حرب الاستقلال الاولى في عام ١٨٨١، بينما عرفها البريطانيون بالحرب البويرية التي استمرت نحو ثلاث سنوات ، ومرت بثلاث مراحل مختلفة(٤٧).

تميزت المرحلة الاولى في الهجوم البويري وتوسيع نطاقها بسرعة نحو مستعمرة الكاب والناتال متمثلة بقطع طرق تقدم الجيش البريطاني الذي لم يكمل استعداده فقد حاول الأخير صد الهجوم المباغت على أغلب قطعاته دون جدوى(٤٨)، أما المرحلة الثانية فتميزت في التقدم البريطاني الملحوظ على أراضي جمهورية الاورانج الحرة حليفة الترانسفال وسقطت على أثرها الجمهوريتان معاً(٤٩).

شهدت المرحلة الاخيرة من عمر الحرب التي عرفت بحرب العصابات في السهل الواسع قام به ابرز القادة البويريين في محاولة لاستعادة ما فقدوه ، إذ كبد البريطانيون خسائر كبيرة في صفوفهم ، حيث اعتمد البوير على سرعة المناورة وتجمع القوات حتى أواخر عام ١٩٠١ ، عندما اعلنت هدنة مؤقتة في نيسان من عام ١٩٠٢ ، تمهيداً للدخول في مفاوضات الاستسلام لتنتهي بمعاهدة (فيرينينغ Vereenining)(٥٠). في الحادي والثلاثين من ايار ١٩٠٢ وخضعتا الترانسفال والاورانج الحرة للحكم العسكري ، واصبحتا مستعمرتين تابعتين للتاج البريطاني، وعوض البوير بمبلغ ثلاثة ملايين جنيه استرليني لاعادة الاعمار وتعويض اصحابها واصلاح الاراضي والمزارع التي دمرت ، وبذلك طويت صفحة من صفحات الصراع الاوروبي العنصري في أرض لم يملكها أي من الاطراف المتنازعة في جنوب افريقيا ، وهيمنوا على خيراتها وسلبوا ثرواتها وحولوا سكانها الى عبيد(٥١).

المبحث الثالث

سياسة حيال مستعمرتي الترانسفال ونهر الاورانج ١٩٠١-١٩٠٥

بدأت بريطانيا محاولات جدية في توحيد جنوب افريقيا بعد اجتياح جيوشها لدولتي البوير ، ولتحقيق ذلك الغرض انيطت للسير ملنر مهمة تهيئة الظروف قبل انتهاء الحرب بصورة رسمية ، اذ اعطت الحرب لبريطانيا اليد الطولى ، وفرصة كبيرة في عملية اعادة البناء لتلك المستعمرتين ، سيما تطوير صناعة الذهب في الترانسفال ، ففي مجال الزراعة حرص السير ملنر على تعويض المزارعين الذين فقدوا محاصيلهم الزراعية جراء العمليات الحربية، فضلاً عن الحفاظ على التوازن السكاني بعد زج العنصر البريطاني بطريقة لا يثير بها الافريكانر في المستعمرات الأربع الترانسفال ونهر الاورانج والكاب وناتال[٥٢].

إدارياً سعى السير ملنر للحصول على موافقة الحكومة البريطانية في لندن لفصل منصب المندوب السامي لجنوب افريقيا عن منصب حاكم عام مستعمرة الكاب ليتسنى له تسيير الأمور ، إذ ربط المنصب بنفسه فصار حاكماً لمستعمرتي الترانسفال ونهر الاورانج ومندوباً سامياً في آن واحد[٥٣]، وخوله القانون سلطة توحيد جنوب افريقيا ، ودعوة ممثلين عن كل المستعمرات والمحميات للتباحث حول القضايا ذات الاهتمام المشترك ، مثل معاملة الوطنيين (السكان المحليين) والسكك الحديدية ، وعلى هذا الاساس عُين ملنر منذ عام ١٩٠١ حاكماً لمستعمرتي الترانسفال ونهر الاورانج ، وجعل مقر حكمه في جوهانسبيرك ، وعمل على تحويل المستعمرتان الى ادارة مدنية[٥٤].

حال انتهاء حرب البوير اقدم السير ملنر على فتح تجارة المناطق المحتلة مع مستعمرة الكاب ، حرصاً منه على ان تدب فيها الحياة ، ومن ثم قام باعادة تنظيم اوضاع مستعمرتي الترانسفال ونهر الاورانج لتتطابق ونظم ادارة مستعمرة الكاب ليتم انتقال المستعمرتان تدريجياً من إدارة عسكرية الى مدنية[٥٥]، وفتح مناجم الذهب من جديد للعمل ومدها بالعمال ، وخفف ملنر من حدة اجراءات مرور الافارقة الى

المناجم لتعود بالبلاد لحالتها الطبيعية ، رغم اعتراض بعض البوير على الحاق البلاد بالتاج البريطاني[٥٦].

وفي محاولة منه لاعادة توزيع مقاعد برلمان مستعمرة الكاب ذو الغالبية البويرية ، سعى ملنر وبضغط من الجماعة التقدمية البريطانية الى تعطيل دستور مستعمرة الكاب التي كانت تتمتع بحكم ذاتي ، لاعادة توزيع المقاعد على الدوائر الانتخابية لصالح البريطانيين ، تمهيداً لقيام اتحاد جنوب افريقيا ذو صبغة بريطانية لا بويرية ، وايدت مستعمرة الناتال تلك المحاولة بعد ان تعاظم نفوذها وضم بعضا من اقاليم الترانسفال اليها مثل اقليم (فريهيد Vryheid) واقليم (اوترختUtrucht) وجزء من اقليم (ووكر ستروم Waker stroom)[٥٧].

واصل السير ملنر عملية البناء في مستعمرتي الترانسفال ونهر الاورانج ، وعين للمستعمرتين حاكمين ومجلسين تنفيذي وأخر تشريعي في كل مستعمرة[٥٨] ، وشكل في كانون الثاني عام ١٩٠٣ مجلسان في بريتوريا واخران في بلومفنتين في شهر ايار من العام نفسه[٥٩]، واخضع الشرطة والسكك الحديدية لأشرافه المباشر ، كما بدأ بتوطين البوير وعمال جوهانسبيرك وكمبرلي ، فزاد عددهم عن مائتي الف ابيض ومائة الف افريقي ، كما خصص مبلغ مليوني جنيه لتعويض مواطني البوير الذين استسلموا طواعية أو استسلموا طبقاً لاعلان لورد بروبرتس ، قائد عام القوات البريطانية في اذار عام ١٩٠٠[٦٠].

يسرت زيارة قام بها جوزيف تشامبرلن وزير شؤون المستعمرات في حكومة سالزبري الثالثة الى جنوب افريقيا العديد من المشكلات وحققت جزءاً من المصالحة بين العناصر البيضاء ، حيث بحث مع السير ملنر ضمان منح بريطانيا ثلاث ملايين من الجنيهات للاصلاح والتطوير ، واستقبل تشامبرلن قادة البوير واستجاب لمطالبهم بشأن الحكم الذاتي والتعويضات والعلاقات بين البيض والسكان المحليين بالمستعمرات التي كانت من أولويات الزيارة للمستعمرتين[٦١].

من المهم ان نذكر موقف قادة البوير من المندوب السامي السير ملنر بعد الحرب ، فقد مالوا الى طلب تعديل شروط الصلح ، وركزوا جهودهم في تحقيق طموح شعبهم ، والانتفاع من كل ميزة إتاحتها معاهدة فيرينغ[٦٢]، ورفضوا الاشتراك في المجالس التشريعية للمستعمرتين لتكون لهم حرية نقد الحكومتين دون تحمل تصرفات الحكومة البريطانية [٦٣].

الخاتمة:

أتسمت سياسة السير ملنر في مهمته التي جاء بها حيال جنوب افريقيا بجانبين اساسيين، الأول تقويض المحاولات الرامية من قبل الدول الأجنبية التدخل في شؤون المستعمرات البريطانية في جنوب افريقيا ، سيما الدور الالماني المساند للبوير . أما الجانب الآخر فهي سياسته لضم جمهوريتي الترانسفال والاورانج إلى الإدارة البريطانية، حتى لو استندت تلك السياسة إلى القوة والشدة وهذا ما حصل .

هوامش البحث :

(١) يرجع تاريخ الاستعمار الأوروبي الحديث للقارة الافريقية الى نهايات القرن الخامس عشر الميلادي بدءً من اكتشاف المغامرون البرتغاليون طرق التجارة الى الشرق، توسيع نشاطها البحري والتجاري، تمثل في (شركة الهند الشرقية الهولندية The Dutch East India Company) التي أسست عام ١٦٠٢. فقد شهدت الشركة المذكورة عام ١٦٤٨ حادثة مهمة عندما حطمت العواصف العاتية التي ضربت رأس الرجاء الصالح ، احدى سفن الشركة اثناء عودتها من الشرق الى هولندا بالقرب من جزيرة الكاب، لتتحول بعد ذلك الى محطة استراحة تتوسط الطريق من هولندا الى مستعمراتها في الشرق ، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً حتى انضمت مستعمرة الكاب للادارة البريطانية على اثر اتفاقية لندن في الثالث عشر من آب عام ١٨١٤، بين كل من بريطانيا وهولندا.

ميشيل دوفيز ، اوروبا والعالم في نهاية القرن الثالث عشر،ترجمة اليأس مرقص ،ح١،(بيروت،١٩٨٠)،ص١٥٤-١٥٥؛

Cession Of the Cape to Great Britain ,August 13,1814,No.16,In:Select Constitution al Documents II Lustrating South African History 1795-1910,(London,1918),p.19.

(٢) للتفاصيل انظر : Le Mey , C . H . L . , British Supremacy in South Africa 1899 – 1907 , (Oxford , 1965) , PP , 1 – 9 , Cnapter I : Sir Al Fred Milner's War .

(٣) هو (Evelyn Baring ١٨٤١ – ١٩١٧ افلين بيرنغ) الذي عرف منذ ١٨٩٢ بـ (اللورد كرومر سياسي بريطاني من عائلة معروفة ، اكمل الدراسة في العلوم العسكرية وتخرج ضابطا ، غادر الى الهند عام (١٨٧٢) واصبح السكرتير الخاص لنائب الملكة في الهند ، وفي المدة ما بين (١٨٧٩ – ١٨٨٠) عمل في مصر كمراقب عام للديون المصرية ، حصل على القاب كثيرة كان اخرها لقب ايرل عام ١٩٠٧ . للمزيد انظر :

Gannon , John (ed.) , The Oxford Companion to British His tory , Great Britain , Oxford University Press , 2002 , P.81 .

(٤) Le May . , Op . Cit . , P . 9 .

(٥) Mortha Ross , Rulers and Governments Of World , Vol. 1 , (London . 1978) , PP . 448 – 449 ,

جورج فاضل حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة يعقوب بكر ، (القاهرة ، ١٩٥٨)، ص٢٣٧.

(٦) وتعني المواطنين المشتغلين بالزراعة ، وأصل الكلمة هي (Burghers) في اللغة الهولندية . أي المزارعون ذوو الاصول الهولندية ، وربما تمسكوا بهذا الاسم تمييزاً لهم عن موظفي الشركة (شركة الهند الشرقية الهولندية) لكونهم مزارعين ولهم مصالح مغايرة لمصالح الموظفين المكبلين بالضرائب .

Alan Baton , Hope For South Africa , (Now York , 1958) , P . 21 . , The New Encyclopaedia Britaninica , Vol . 2 , PP . 319 – 320 , .

(٧) سياسي ورجل دولة بريطاني امبريالي ، ولد في لندن واكمل دراسته فيها ، وفي عام ١٨٧٥ اصبح عمدة مدينة برمنكهام حتى ذاع صيته فيها ، دخل البرلمان البريطاني عام ١٨٧٦ ممثلاً عن المدينة ذاتها ، تقلد وزارة شؤون المستعمرات للاعوام (١٨٩٥ – ١٩٠١ ، ١٩٠٢ – ١٩٠٣) ، بذل جهداً في توسيع رقعة الامبراطورية البريطانية الخارجي ، اعتزل العمل السياسي عام ١٩٠٦ لتدهور حالته الصحية .

Cannon . , Op . Cit . , P . 184 .

(٨) Pakenham , Thomas , The Boer War , (New York , 1979) , P . 27 .

(٩) Le May . , Op . Cit . , P . 9 .

(١٠) اصبحت المانيا منافسة قوية بعد ان بحثت عن موطى قدم فيها في غرب افريقيا ونافست بريطانيا بوقوفها الى جانب الترانسفال ، لاسيما في اعقاب غارة جيمسون سيئة الصيت

R.C.K. Ensor. , England – 1870 – 1914 , (Ox Ford , 1969) , P . 232 .

(١١) تسمية سياسية يقصد بها تحول هؤلاء البوير عن التبعية السياسية للوطن الام هولندا الى الاعتماد على انفسهم ، بأعتبارهم افارقة هولنديين اصحاب الارض في جنوب افريقيا اكثر من انتمائهم الى هولندا التي تخلت عنهم لصالح بريطانيا .

Baton . , Op . Cit . , P . 21 .

(١٢) Robert W. , July, A History Of the African People , (London , 1970) , P . 382 .

(١٣) Theodre C. Caldwell, The Anglo – Boer War (U.S.A., 1968),P.95.

وهي الغارة سيئة الصيت التي شرع في تنفيذها الدكتور جيمسون الساعد الايمن لرودس في تنفيذ هذهِ الغارة والتي تقوم على اساس تحريض الاجانب في الترانسفال ضد حكومتها، ومن ثم تدخل هذهِ القوات التابعة له في ٢٩ في كانون الاول ١٨٩٥. وقد عرفت في التاريخ الحديث بـ(غارة جيمسون) وكان من نتائجها تكبد تلك القوات خسائر فادحة واستقال رودس في أثرها من رئاسة وزراء الكاب .

نوري السامرائي ، الاحتلال البريطاني ، لجنوب افريقيا ١٧٩٥ – ١٩٠٢ ، مركز الدراسات الدولية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص٢٣

(١٤) احد ابرز الاستعمار بين الذين ساهموا في توسيع الامبراطورية البريطانية في القارة الافريقية ، وتمكن من استثمار الماس والذهب من خلال شركاته (شركة مناجم الماس دي بيرز) The De Beers Diamond Mines Ltd و(شركة جنوب افريقيا The Con Solidated GoldFields Of South Africa Compon Ltd) . اصبح رئيس وزراء الكاب للمدة ما بين ١٨٩٠ – ٩٥) حتى سقطت حكومته اثر حادثة جيمسون التي وضعت حداً لحياته السياسية في جنوب افريقيا . Caldwell . , Op. Cit. , P.5.

(15) John Flint , Cecil Rhodes , Led , Hutch in Son Co . Ltd , (London) , PP . 174 – 197

(١٦) هو (ستيفانوس جوهانس بوليوس كروكر Stephanus Johannes Paulus Kruger ولد عام ١٨٢٥ في مقاطعة كرادوك وتلقى تعليمه الديني فيها حتى لقب بـ(العم بول)، دخل المجال السياسي عضواً في اللجنة التي شكلت لتعديل الدستور للاعوام (١٨٥٥ – ١٨٥٦) وتقلد مناصب عدة انتخب رئيساً لجمهورية جنوب افريقيا للاعوام من (١٨٨٣ – ١٩٠٠) وقاد حرب البوير الثالثة لعام ١٨٩٩ ضد البريطانيين ، ثم غادر جنوب افريقيا ، توفي في لاهاي الهولندية عام ١٩٠٤ ، ثم نقل جثمانه الى برتيوريا بعد انتهاء الحرب.

Cannon . , Op . Cit . , P . 55 .

(١٧) William L. Langer., The Blunders Of Imperial Diplomacy, (Caldwell , The eodore C. The Anglo Boer War , P . 61 .

(١٨) Eric A . Walker , The Struggle For Suppermacy , PP . 606 – 607 .

(١٩) Ibid . , P . 475 .

(٢٠) Ibid .

(٢١) وهي رابطة اقدمَ على تأسيسها كلُ من (هوفماير Hofmeyer) والقس (دوتويت Dutoit) حملت طابع زراعي ، الا ان حرب الترانسفال الاولى للمدة ما بين (١٨٨٠ – ١٨٨١) كانت العامل الرئيسي في تغيير طابعها وتحويلها الى حركة عنصرية لخدمة المصالح السياسية لصالح دوتويت للمدة من (١٨٨٢ – ١٨٨٣) . وبعد رحيل الاخير الى الترانسفال اخذ هوفماير على عاتقه زعامة الحركة التي اصبح لها دورُ فاعل في الحياة السياسية لمستعمرة الكاب وفتحت لها فروع في جمهورتي الترانسفال والاورانج الحرة .

J . H . Ho Fmeyer , Political Development , 1872 – 1886 , In : C . H . B . E , Vol . 8 , P . 499 .

(٢٢) De Kiewiet . , The Imperial Factor , PP . 330 – 331 .

وهي عصبة ذو طابع عنصري دعت الى عودة رودس الى الحياة

السياسية ، واستطاعت من فتح فروع لها في ناتال والترانسفال والاورانج.
Ibid .

(٢٣) وهي التي تشكلت من اصل مجموعة من احزاب صغيرة ذات توجه سياسي عنصري يهدف الى جمع العنصر البريطاني ولملمته لتشكيل اغلبية سياسية في برلمان مستعمرة الكاب للوقوف بوجه الرابطة الافريكانرية دون جدوى . ومن ابرز تلك الاحزاب حزب عصبة جنوب افريقيا البريطانية التي نشطت في الدعوة للتصدي لكروكر الرئيس الترانسفالي والرابطة الافريكانرية . دُعمت من قبل الرأسماليون العاملون في المناجم الذين حركوا الصحف التي استولوا عليها في اتجاه تأييد مصالح العنصر البريطاني في المناجم الذين كونوا الاغلبة فيها . اما مجموعة احرار الانكليز فقد انفصلوا عن المجموعة التقديمة بعد ما وجدوا انها تتبنى نشاطاً سياسي على اساس عنصري .
J . A . Hobson , The Forcess of Press , Platform and Pulpit . , P . 51 . : A Small Coufederacy of International – Mine Owners , PP . 22 – 24 .

(٢٤) J . S . Marais , The Fall Of Krugers RePublic , P . 167

(٢٥) Walker . , Op . Cit . , P . 72 – 74 .

(٢٦) R. C. K. Ensor , The Whole Future Of the Dominions Was Conerned , P . 54 (Caldwell , The Anglo Boer War) .

(٢٧) E. A. Walker , A History of South Africa , (London, 1941) . PP . 473 – 474 .

(٢٨) Marais.,Op.Cit.,PP.168–169.

(٢٩) Roland Robinson, and John Gallagher. , A fried and The Viotorians , (London , 1961) , PP . 74 – 75 .

(٣٠) Walker . , The Straggle For Supper macy , PP . 605 – 606 .

(ماجوبا هيل Majuba Hill) منطقة في جنوب افريقيا حدثت فيها

معركة بين القوات البريطانية وبين البوير في السابع والعشرين من شباط ١٨٨١ ، انتصر فيها البوير واطلقوا عليها فيما بعد حرب الاستقلال الاولى، مما اضطرت الحكومة البريطانية للتخلي عن اقليم الراند الى البوير.

هـ. أ . ل . فشر ، تاريخ اوربا في العصر الحديث (١٧٨٩ – ١٩٥٠) ، ترجمة احمد نجيب هاشم ووليد الضيع ، ط ٤ ، (القاهرة ، ١٩٦٤) ، ص ٤٠٧ .

(٣١) سياسي ينتمي لأسرى هولندية الأصل ، كانت تعيش على الزراعة والرعي في ضواحي كب تاون منذ ستينات القرن الثامن عشر ، بدأ نجمه يظهر في عالم الصحافة على صفحات جريدة (De-Volksfrind) وتعني صديق الشعب ، التي صدرت بالهولندية ، وتزعم حركة باسم (رابطة حماية المزارعين) غير أن حرب البوير الأولى غيرت الحركة إلى عصبة الأفريكانر لخدمة المصالح السياسية التي أخذ هوفماير زعامتها في مستعمرة الكاب وبقية جمهوريات البوير.

(٣٢) The New Fncyclopaedia Britannica , Vol.5 , P.969 .
Ensor . , Op . Cit . , P . 57 .

(٣٣) Samuel Flagg , Bemis . , Adiplomatic History Of united States , (New York , 1955) , PP . 415 – 422 .

تحسن موقف بريطانيا على المستوى الدولي بعد ان تمكنت من الحاق هزيمة بالفرنسيين في فاشودا ، وتراجعت الولايات المتحدة الاميركية في مسألة الحدود الفنزويلية مع غويانا Guyana البريطانية بسبب مشاكلها مع اسبانيا ، فيما اتفقت مع المانيا على اقراض البرتغال بضمان مستعمراتها في افريقيا وتيمور على ان تقتسم الدولتان (المانيا – بريطانيا) هذهِ الممتلكات في حال عجز البرتغال عن السداد ، مما اجبرت المانيا على التخلي عن دعم الترانسفال .

للمزيد ينظر : جلال يحيى ، الثورة المهدية واصول السياسة البريطانية في السودان ، (القاهرة ، ١٩٥٩) ، ص٢١ – ٢٨ .

(٣٤) Walker . , AHistory Of South Africa , PP . 477 – 480 .

(٣٥) Marais . , Op . Cit . , PP . 255 – 256 .

وذهب المندوب السامي الى ابعد من ذلك عندما بعث بتاريخ ٤ ايار ١٨٩٩ برقية الى شامبرلن وزير شؤون المستعمرات يلتمس فيها التدخل البريطاني في الترانسفال لمصلحة الاجانب المقيمين فيها . عن نص البرقية ينظر:

JoeL H. Wiener , (ed .) , Great Britain For eingn Policy and the Span Of Empire , 1689 – 1971 , A Documentary His tory , Vol . I , III , Mcgraw Hill book . Co , (New York , 1972) , PP . 2569 – 2572 , .

(٣٦) Walker., The Cambridge History Of British Empire , (Cambridge , 1963) , Vol . 8 , P . 611 .

(٣٧) Walker., A History Of South Africa , P . 476 .

(٣٨) Langer . , Op . Cit . , PP . 64 – 65 .

(٣٩) Walker., The Struggle For Suppermacy, P. 611.

(٤٠) Le May . , Op . Cit . , P . 21 .

(٤١) Walker . , the Struggle For Suppermacy , P . 612

(٤٢) السامرائي ، المصدر السابق ، ص٢١ .

شنت بعض الصحف الموالية لبريطانيا من اصحاب المصالح في مناجم الذهب في جنوب افريقيا هجوماً لاذعاً ضد سياسة كروكر بشكل عام مثل (The Cap Argus) تمهيداً لدخول بريطانيا الحرب لتوحيد جنوب افريقيا المصدر نفسه

(٤٣) Ensor . , Op . Cit . , P . 56 .

(٤٤) Marais . , Op . Cit . , PP . 293 . 294 .

(٤٥) P . W . Krugger , The British Imperial Factor in south Africa from 1870 to 1910 .in cann , L.H. and duig nan .peter , colonialism in Africa , 1870 – 1980 , (Cambridge , 1969), P.345.

(٤٦) Williliams gugh and charles hicks frederik , (eds) selected official documents of the south African republic and great Britain , 2nd , ed , Gutenberg university press (washingron , 2005), in ultimatum of south African 1899 , No.7 , P.57 .

للاطلاع على نص الانذار الذي ارسلته الجمهورية الى الحكومة البريطانية ينظر: الهلال ، المجلد العاشر ، ١٥ حزيران ١٩٠٢ ، ص٥٤٩-٥٥١ .

(٤٧) Marrais , op.cit , pp.267-268 .

(٤٨) Pakentam , Thomas , the boer war , (New york , 1979), P.24.

(٤٩) L.S. Amery , the times history of the warin south Africa , 1899-1902 , Vol.1v , (London , 1906), PP.1-2

(٥٠) حرب الترانسفال المقتطف (مجلة)، المجلد ٢٣ ، ج١١ ، (القاهرة ، ١٨٩٩)، ص٨٠٥-٨٠٧ .

(٥١) Charles Jncas , the partition and colonization of Africa , (oxford , 1972), P.243 .

(٥٢) Thomas , op. cit. , P.176 .

(٥٣) A.H. Duminy , and W. R. Guest , Fitzpatrick south African politician selected papers , 1888-1906 , (New York , 1976), P.2 .

(٥٤) L. M. Thompison , The unification of south Africa , 19021910 , (oxford , 1960), P.7 .

(٥٥) Thompison , op. cit. , P.8 .

بعد عام ١٩٠١ أصبح سير والتر هيلي هتشنسون حاكم عام مستعمرة ناتال حاكماً عاماً لمستعمرة الكاب بدلاً عن السير ملنر. .

Ibid

(٥٦) Walker , Ahistory of south Africa , P.501 .

(٥٧) Ibid. , P.503 .

(٥٨) السامرائي ، المصدر السابق ، ص٢٢ .

(٥٩) Thompison , op. cit. , PP.12-14.

(٦٠) Walker , Ahistory of south Africa , P.507 .

(٦١) Ibid. , PP.506-508 .

(٦٢) Thompison , op. cit. , P.20 .

(٦٣) Lewis , Sowden , the union of south Africa , (New York , 1943), P.41 .